

الكتاب: لبنان اليوم  
تحرير عبد الرؤوف سنو وراينر سيمرفينكل  
الناشر: أفورزم – تريير – ألمانيا، 2000

## حتى لا تتكرر الحرب في بلاد الارز

صدر في تريير بألمانيا كتاب عبد الرؤوف سنو وراينر سيمر – فينكل باللغة الالمانية بعنوان "لبنان اليوم" (Der Libanon heute)، شارك فيه اربعة عشر استاذًا جامعيًا وباحثًا من لبنان.

قدم للكتاب الناشر عبد الرؤوف سنو بمقال بعنوان "الحرب الاهلية اللبنانية (1975 – 1990): محطات انتحار؟ مسألة الدوافع والاسباب" عالج فيه الاسباب الطائفية – السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتنموية والنفسية لوصول العلاقات الميثاقية بين الطوائف اللبنانية عشية الحرب الى طريق مسدود، مشددًا في الوقت نفسه على العامل الخارجي في الازمة الداخلية. فيركز على حرب السنتين والصرع السوري – الاسرائيلي في لبنان والاحتياح الاسرائيلي للبنان عام 1982 واتفاق 17 ايار 1983، مرورًا بحروب الميليشيات وحوار القوى اللبنانية في ظل المدفع وانتهاء بالصراع على قصر بعبدا واتفاق الطائف واستعادة الدولة اللبنانية لسلطتها من الميليشيات.

وضمن المحور الاول، تناول منير اسماعيل في مقاله: اشكالية "الطائفية – السياسية ومقومات الدولة الحديثة في لبنان". فوجد ان الطائفية – السياسية تكرست منذ القرن التاسع عشر، مرورًا بدستور عام 1926، ثم في الصيغة عام 1943، بحيث اضحت من الثوابت المقبولة طوائفيا. فاستعرض وجهات النظر المتناقضة لمعارضى الطائفية – السياسية ومؤيديها، وخلص الى ان النظام الطائفي يتنافى مع المفهوم الحديث للدولة، وخصوصًا مسألتي المساواة وتكافؤ الفرص بين اللبنانيين.

ويتضمن الكتاب مقالتيْن للاستاذين فريد الخازن وجوزف لبكي تُعنى الاولى بدراسة اسباب التحفظ المسيحي على الطائف، والثانية بقانون التجنيس.

اما جورج كلاس، فيناقش مسألة الاعلام في لبنان، وقد رأى ان حرية الرأي والتعبير اللتين يتمتع بهما الاعلام اللبناني وتنظيمه النقابي والقانوني وعدم هيمنة السلطة عليه، هي اهم معلم للديمقراطية التوافقية التي يتمتع بها المجتمع اللبناني بتعدديته الثقافية وتنوعه الطائفي. وهو يشير الى ان الرقابة الذاتية لوسائل الاعلام على نفسها، قد ساعدتها على التعبير بحرية عن رأيها وبالتالي حماية نفسها من "مقص" الرقيب. ويختم بالقول، ان اهم تحد يواجه الاعلام اللبناني هي مسألة تخلصه من ان يكون اعلامًا لمجموعة، لمصلحة اعلام وطني لكل لبناني.

يختم غازي شعبان المحور السياسي بمقال حول "المسار اللبناني – السوري في عملية السلام". فيرفض مقولة عزل لبنان، بواقعه الجيو – سياسي والجيو – ستراتيجي، عن انتمائه العربي،

وخصوصا عن سوريا. انطلاقا من ذلك، يشدد على ان تلازم المسار اللبناني – السوري في مفاوضات السلام كان للرد على استراتيجية السلام التعاقدية الثنائي الذي تسعى إليه اسرائيل. اما في محور "الطوائف الدينية: الحوار والاندماج والخصوصية" فيعالج ملحم شاوول في قسمه الاول مسألة الحوار المسيحي – الاسلامي وما حاول البابا في الارشاد الرسولي ان يقوله الى اللبنانيين. فيشدد على اعتبار الفاتيكان ان الحوار الاسلامي – المسيحي امر لا بد منه للبنانيين كي ينتقلوا من حالة المراوحة ما بين النزاع والوفاق الى مرحلة العيش معا وبناء مجتمع.

ويتحدث في الموضوع نفسه جورج صبرا، في مقاله "الطوائف الدينية في لبنان: تعايش أم صراع حضارات"؟ فيرى ان اكبر تحد يواجهه لبنان اليوم هو اذا ما كان اتفاق الطائف يوفر الاسس لتعايش ثابت ودائم بين الطوائف الدينية. ويطلب صبرا بالغاء التعددية الدينية والاعتراف بحقوق "الأخر" المختلف دينيا كمعبر نحو التعايش الوطني كما يتعد ان التحول نحو لبنان عربي هوية وانتماء، لم يحسم مسألة وجود تعددية ثقافية أم لا. فاللغة العربية، حسب رايه، لا تكفي وحدها لجعله عربي الهوية، وان هناك اختلافات ثقافية واضحة بين المسيحيين والمسلمين. لكنه يفرق مع ذلك بين الهوية الثقافية والهوية السياسية، معتبرا ان لبنان عربي، انتماء ومصيرا ومصالح وتعددي من الناحية الثقافية.

وفي مقاله حول "ثقافة الحرب وتأثيرها في الأطفال"، الذي يتصدر محور "التعليم والثقافة من اجل مستقبل جيد" يرصد نادر سراج تأثير ثقافات الحرب على عالم الطفل من خلال الزي الأزوجة /النشيد، واخيرا للعبة. فيرى ان لباس الطفل الزي العسكري المرقط حوّل الى سلعة عسكرية. وفي مسألة الأزوجة والانايشيد، يشير الى تحولها الى فنوية واحادية وأدلجة معادية لـ"الأخر" مصحوبة بالمارش العسكري واللقطات التلفزيونية الموحية. ويرى ان هذه كانت تقتحم عالم الناشئة وتحاصرهم يوميا، مترافقة مع بث افلام العنف. أما بالنسبة لألعاب الاطفال، فيشير سراج الى ظاهرة تكاثر العسكرية منها (المستورد والمصنوع يدويا) بين ايدي الاطفال ومحاولة هؤلاء تقليد لعبة الكبار او ما يدور من احداث يومية حولهم. وقد انتهى سراج الى ان توظيف الطفل اللبناني وعالمه في لعبة الحرب، شكل وجها من اوجه العنف السلوكي الذي عصف بلبنان.

وضمن المحور نفسه، يقدم وجيه كوثراني مقالا بعنوان "المتقف والسياسة"، فيرى ان النظام السياسي يجعل من المتقف اللبناني ابن طائفته ومذهبه تشده ثقافة سياسية سائدة الى انتماءات دينية واخرى سياسية تحقق له المكاسب. وفي ضوء الخطاب الثقافي – السياسي القائل بسوء تطبيق الطائف وعدم تحوّل لبنان الى دولة في مفهومها الحديث، وعدم الاعداد لإلغاء الطائفية، وصولا الى بدعة الترويك، يرى كوثراني ان اكتفاء المتقفين فقط بممارسة النقد السياسي وتحديد اسباب الخلل، اوصل خطابهم الثقافي – السياسي الى مأزق. فيدعوهم الى ان يتحولوا الى تيار فكري يحمل الى الرأي العام والى السلطة الحاكمة مقترحاته لإلغاء الطائفية السياسية ووضع قوانين انتخاب الخ.. وفي غياب ذلك، يعتقد كوثراني بوجود ازمة مزدوجة: مثقفون تخلوا عن ثقافتهم السياسية التغييرية او يمالئون النظام، ومجتمع لبناني يفتقر الى "رأي عام وطني".

اخيرا، يختم فؤاد حمدان المحور بمقال حول "التلوث البيئي في لبنان". فيحذر مما وصل إليه وضع البيئة نتيجة الحرب الاهلية وعقود طويلة من التطور المدني. يحدد حمدان ثلاث مسائل بيئية في لبنان: تلوث الجو والتخلص من النفايات الصلبة والتلوث الصناعي. ولتحسين الوضع، يقترح القيام ببرنامج توعية وتنظيف للناس، واضطلاع الدولة اللبنانية بمسؤولياتها عبر اعتماد سياسة

للتقليل من النفايات المنزلية والصناعية والوصول الى "انتاج نظيف" في شتى عمليات التصنيع، والمحافظة على مصادر المياه والطاقة بتطبيق تقنيات حديثة، وفرض الكنتاليزيتور والبنزين الخالي من الرصاص على السيارات، وتنظيم المقالع وحصرها، وحماية الشواطئ، واخيرا، قبول الدولة اللبنانية المنظمات الاهلية وغير الحكومية كشريك لها في عملية الحفاظ على البيئة.

وفي المحور الرابع: "المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية وآفاق المستقبل"، يمهد عبد الرؤوف سنو للموضوع بمقال بعنوان "المجتمع اللبناني في زمن الحرب 1975 - 1990: تغير السلوكيات ومستويات المعيشة وأنماط العيش".

ومن تأثير الحرب الاهلية على المجتمع، الى "الازمة الاقتصادية والضائقة الاجتماعية في لبنان"، يعالج جان شرف موضوع إعادة اعمار لبنان والاستنادة الداخلية والخارجية والعجز في الموازنة، فيرى ان هذه السياسة ونتائج الحرب على الصعيد الاجتماعي، فضلا عن الاقبال على اليد العاملة الاجنبية الرخيصة، زادت في إفقار الطبقات الدنيا ورفعت معدلات البطالة. الى ذلك، يرى الباحث ان فرض ضرائب جديدة على الاستيراد، تسبب في ارتفاع الاسعار وبالتالي إلحاق الضرر بالمستهلك والصناعة اللبنانية، في وقت تواضع فيه الاستثمار في القطاع العام وتراجع في القطاع الخاص. ويشير الى ان احتجاج اكثرية السكان على الظروف المعيشية، ارتبط بازدياد الفساد والرشوة في الادارات الرسمية.

وفي الموضوع نفسه، عالجت جمانة مفرج في مقالها مسألة "الفقراء والاغنياء: ماذا حل بالطبقات الاجتماعية القديمة؟" فقارنت بين مداخل اللبنانيين قبل الحرب وبعدها، ووجدت عدم تساوي مستمر بين تلك الطبقات الاجتماعية وازدياد الانفاق على الغذاء والعطالة عن العمل والاستنادة لدى الطبقات ذات الدخل المحدودة. من هنا، رأّت مفرج ان سوء الوضع الاقتصادي، لم يقتصر على الطبقات الدنيا وإنما شمل الطبقة الوسطى ايضا، التي فقدت تبعا لذلك اهميتها الاقتصادية والاجتماعية. وتضيف، بأن تدهور الوضع الاقتصادي لهاتين الطبقتين ونمو حجم الدين المتراكم على السكان والدولة اللبنانية، جعل لبنان يدخل في مرحلة الفقر. كما ترى ان مقاومة الطبقة العمالية لهذا التطور جرى التعبير عنها عن طريق الاستنادة والهجرة ونزول الشباب الى سوق العمل.

يختم نادر سراج هذا المحور بمقال آخر بعنوان "إعادة إعمار لبنان: الاستراتيجية والتنفيذ" فيتحدث عن إعادة الإعمار بتأسيس مجلس الانماء والاعمار " عام 1977، وجعل حكومة الحريري هذه المسألة برنامجها الاستراتيجي منذ عام 1993. فيرصد الباحث القطاعات التي لمسها الاعمار والتأهيل حتى عام 1998، وهي الكهرباء والهاتف والطرق والمرافئ والمطار والنفايات والصرف الصحي وشبكات المياه. كما يشير الى تطور نظام التعليم، ومشروع اقامة المدنية الجامعية في الحدث، واعادة بناء المدنية الرياضية واقامة ملاعب رياضية في مناطق اخرى. وفي مجال الصحة، إعادة تأهيل المستشفيات الحكومية والبدء بإنشاء مستشفى حكومي في بيروت، واخرى في المدن والمناطق. اخيرا، حدد سراج كلفة تنفيذ هذه المشاريع بـ 5.4 مليارات دولار اميركي، فيما بلغ التمويل الخارجي لها نهاية عام 1998 (4.4) مليارات دولار، منها نصف مليار دولار هبات. كلمة اخيرة، الكتاب يحتوي على موضوعات مهمة في تاريخ لبنان المعاصر. وإن بقاء هذا العمل باللغة الالمانية، يحرم القارئ اللبناني من إمكان الاستفادة منه.

حسن عبد الجبار